مجلة الرائد

العدد : ٢٠٤ الموافق في رجب ١٤١٩ هجري ١٢ / ١٩٩٨ ميلادي

في مجلس الشيخ الحكيم : لقطات من أحاديث ومحاورات	بقلم : ع. ذو الفقار

د. هلموت كول

قال الشيخ الحكيم في جملة أجوبته عن أسئلة طرحها بعض الحضور - بمناسبة الانتخابات الألمانية الأخيرة - عن شخصية المستشار الألماني هلموت كول - **Helmut Kohl** ، وعن سياسته في إدارة حزبه ، وما قيل من أنها كانت سبباً من أسباب فشله وهزيمته :

- كان هلموت كول سياسيّاً موهوباً ، قويَّ الشّخصيّة والإرادة والطموح ، ذا قدرةٍ كبيرة على الكفاح والتقدم والإنجاز

لقد استطاع هذا الرجل الذي وُلِد سنة ١٩٣٠م لموظّف صغير فقير ، والذي كان مضطرّاً إلى العمل في إجازاته المدرسيّة ليوفّر مصروف دراسته ، أن يجتاز الدراسة في مختلف مراحلها ، وأن يصل بها إلى نهايتها ، واستطاع أن يتقدّم في المجال السياسيّ في وجه منافسات شديدة ، وظروف صعبة ، حتّى أصبح رئيس حزبه : « الاتحاد الديمقراطي المسيحي - **CDU** » ومستشار - **Kanzler** ألمانيا من سنة ١٩٨٢ إلى هذه السنة : ١٩٩٨م ، أيْ : ستّة عَشَر عاماً دون انقطاع ، وهذا ما لم يصل إليه مستشار قبله بعد الحرب العالمية الثانية... بما فيهم كونراد أديناور - **Konrad Adenauer** أكبر بناة ألمانيا الحديثة

واستطاع هلموت كول أن يحقّق خلال زعامته وولايته إنجازات تاريخية باقية لا تُنسى : لقد وَحَّدَ ألمانيا بعدَ انقسام طويل ، وأكمل تحرّرَها ، وأسهم إسهاماً كبيراً جداً في بناء أوروبا الحاضر والمستقبل

وتقدّم كول بحزبه على الصعيد الشعبي والرسمي ، فاستردّ له مكانته القديمة ، وحقّق له كثيراً من المكاسب ؛ ولكنه كان داخل الحزب أنانيّاً مستبدّاً : أبعد - ما استطاع - كلَّ مُنافسٍ ومُناوئٍ ومعارض من أصحاب الشخصيّات والكفاءات ، وقرّب كلَّ مُوال ومؤيّد ومساير... حتى أصبح - تقريباً - هو الحزب ، وأصبح الحزب - تقريباً - أداةَ زعامتِه الشخصية الخاصّة والعامّة ؛ فكان ذلك مما انتهى به وبحزبه إلى هذه الهزيمة النكراء التي شهدناها ، ونُحِّيَ عن المستشاريّة بتصويت الشعب ضدّه ، وترك رياسة الحزب أيضاً ، وترك الحزبَ من بعدِ رئاستِه مزلزلَ الأركان ، مبلبلَ الاتجاهات والأفكار

وهذا الذي اتصف به موحّدُ ألمانيا الثاني : هلموت كول ، يذكّرنا بموحّد ألمانيا الأول سنة ١٨٧١م : بسْمارك - **Otto von Bismarck** ، فقد كان أيضاً مستشاراً كبيراً ، لعب في تاريخ ألمانيا وأوروبا في القرن

التاسع عشر الميلادي أكبرَ الأدوار ، وترك فيه ما لا يمحى من الآثار ، حتى دُعِيَ القرن كلُّه في ألمانيا بقرن بسمارك ؛ ولكنه كان أيضاً مستبدّاً متحكّماً ، يطلب الطاعة التامّة ، فإن لم تكن الطاعةُ قام العداءُ والخصام !

وأتذكّر هنا - وأنا أتحدّث إليكم الآن - شهادة واحد من أكبر مارشالات ألمانيا وقادتها العسكريين في القرن التاسع عشر : الجنرال فيلد مارشال إيدْوين فون مانْتويْفل - **General Feldmarschall Edwin von Manteuffel** في بِسْمارك...

كان المارشال فون مانْتويْفل يختلف مع بسمارك في اجتهاداته وسياسته فقرر الاستقالة من منصبه ؛ ولما حاول وزير الحرب الألمانيّ في ذلك الحين : الجنرال فيلد مارشال فون روم - **von Room** أن يثنيه عن استقالته ، وأن يتوسط بينه وبين بِسْمارك... قال له فون مانْتويْفِل هذه الكلمات الموجزة النافذة الكاشفة :

- صدّقني : الأفضلُ أن يتركني الملك (يعني مَلِكَ بروسيا) أمشي . بسمارك رجلٌ لا يستطيع أن يصنع سوى آلاتٍ بشريّة أو أعداء سياسيين !!... وأنا لا أريد أن أكون آلةً ولا عدوّاً »

»**Eure Exzellenz k nnen mir glauben, es ist am besten, daö der K nig mich gehen köt. Bismarck ist ein Mann, der nur Maschinen oder politische Gegner erzeugen kann. Ich will aber weder das eine noch das andere werden.**«

وذهب جيل وأتى جيل ، ومات قيصر وملك قيصر ، وتغيّرت أوضاع وظروف ، وجدّت أفكار وحاجات... والـ « الكونت بسمارك[1] » و « الأمير بسمارك[1] » و « الدوق بسمارك[1] » مؤسّس المملكة الألمانية ، ومخطّط سياستها ، وأول مستشار – **Kanzler** لها ، ثابتٌ في مكانه لا يَريم[2] ، متمسك بسلطانه لا يستقيل... إلى أن أقاله القيصر الجديد الشاب : ويلهلم الثاني- **Wilhelm II** من منصبه سنة ١٨٨٨م ، مقدراً له ماضيه الجليل ، ومتطلّعاً في ذات الوقت إلى أُفُق جديد ، وعهد جديد ، ومستردّاً بذلك سلطانه الحقيقيّ ، بعد أن احتكر بسمارك - أو كاد يحتكر - كلّ سلطان

وعاش بسمارك أيّامَه الباقية في عُزلة ووحدة ووحشة ، شبهَ محاصرٍ في بيته ، يُعاني جحودَ الفضل ، وتآمرَ القصر ، وبُعْدَ الوَلَد ، وتنكُّرَ الصديق... وتنزف كبرياؤُه في كبرياء... إلى أن وافاه الأجل سنة ١٨٩٨م

قال أحد الحضور :

- أنا لو خيّرت بين الاستبداد مع الإنجاز الكبير وبين الحرص على الشورى... لاخترتُ الاستبداد والإنجاز

قال زائر آخر للشيخ الحكيم :

- وأنت - يا شيخنا - ماذا تختار ؟

قال الشيخ :

- لماذا تجعلون تناقضاً أو تبايناً ، ما أنزل الله به من سلطان ، بين الإنجاز الكبير وبين الشورى ؟!!... أنا أختار في الحقيقة الإنجاز والشورى في وقت واحد

قال السائل الأول :

- وهل هذا أمرٌ ممكن في الواقع ، إذا تركنا المثاليّات والنظريّات ؟

قال الشيخ :

- إنه ممكن كلَّ الإمكان ؛ بل إنّ الإنجازَ الأكبرَ والأبقى في تاريخنا ما كان إلاّ بالشورى ، وتكامل الإمكانات والجهود ، ويكفي أن ترجع إلى سيرة قُدْوتنا ومثلنا الأعلى محمدٍ ﷺ :

ليس في تاريخ البشر كلّه أعظمُ من محمد ، وأصدقُ من محمد ، وأقدرُ من محمد ؛ وليس في تاريخ البشر كلّه أعظمُ إنجازاً منه ، ولا أجدى ولا أبقى أثراً ؛ ولم يكن في تاريخ البشر من هو أحرصُ على الشورى - في ذات الوقت - منه ، وأحرصُ على أصحابه جميعاً ، وأرأفُ بهم وأرحم

ولقد كان من عظمته ﷺ معرفتُه بخصائص أصحابه وطاقاتهم وإمكاناتهم ، والاستفادةُ منهم ومنها جميعاً... لم يُفَرِّطْ بأحدٍ منهم ، ولا بأيّ قدرة من قدراتهم ، وحقّق من التكامل والتعاون والأُخوة بينهم على اختلاف المناشئ والقبائل والخصائص والأمزجة والطباع والاستعدادات... ما يُذهل العقول . وكان ينزل عند مشورتهم ، والصوابِ من رأيهم ، ما لم يكن هنالك وَحْي . وكان يعمل على تفجير إمكاناتهم ، وإنماء شخصيّاتهم وقدراتهم ، وفَتْح آفاق السموِّ والنموِّ والممارسةِ والمسؤولياتِ المختلفةِ لهم على كل صعيد...

فلمّا قُبِضَ ﷺ لم يقفِ العملُ وينعدمِ الأثَرُ ؛ بل حملَ أصحابُه الرسالة من بعده مقتدرين ، فكانوا منارات الدنيا ، وصُنّاعَ الحضارة ، وقادةَ الركبِ البشريّ إلى الحقّ والعدالة والخير والتقدّم على كل صعيد :

هل تطلبونَ من المختار مُعْجِزَةً يَكفيه شَعْبٌ من الأجداثِ أحياهُ

وَكيفَ ساسَ رُعاةُ الإبْلِ مَمْلَكَةً ما ساسَها قَيْصَرٌ من قبلُ أوْ شاهُ [1]

ليس العظيم الحقّ - يا إخواني - من ينشغل بنفسه عن غيره ، ولا ينظر إلاّ إلى شخصه ، ولا يبالي - أحياناً - أن يصعد على جثث غيره وأنقاضهم ليرتفع وحده إلى فوق

العظيم الحقّ من يصنع العظماء ، ويقدّر العظماء ، ويَسْعَد بولادةِ العظماء ونموِّ العظماء ، وتكاتفهم

[1]) هذان البيتان للشاعر المصري : محمود غنيم رحمه الله

وتآزرهم وتكاملهم ، وتعاونهم جميعاً على البرّ والتقوى ، لا على الإثم والعدوان

قال أحد الحضور :

- دعوني أنتقل بالحديث إلى أمر آخر ، والتفت إلى الشيخ الحكيم فقال :

- إن الذي يسمع كلامك أو بعضه في هذا المجلس يفهم بشكل غير مباشر أنّك تدعو إلى تَجَدُّدِ القياداتِ الإسلاميّة وتَبَدُّلِها وفَسْح المجال لأجيالٍ جديدةٍ أفتى وأقوى وأعمقَ إحساساً بعالمها وعصرها ، وأحسنَ فهماً له ، وتعاملاً معه ، وأقدرَ على حمل الأمانة وأداء الرسالة فيه

قال الشيخ :

- إنني أدعو إلى تكامل المسلمين على امتداد المكان ، وتكامل أجيالهم على امتداد الزمان... لا ينسحب منهم أحد من الميدان ، ولا يتخلّف منهم أحد عن الواجب ، فلكل منهم دورُه الأساسيّ الضروريّ

الشيخُ له دور ، والشابُّ له دور ، والصغيرُ له دور ، والمرأة لها دور ، والقويّ له دور ، والضعيف له دور... ولا يتحقّق النجاح المأمول إلا بنهوض كلٍّ من هؤلاء بدوره على أفضل وجه ممكن ، وبتكامل جميع هذه الأدوار

أمّا تَجدُّدُ الحركات والقيادات ، وتبدُّلُ المواقع والمسؤوليّات ، في سِياق العمل والزمن والحياة ، فأمرٌ طبيعيّ لا حَرَجَ فيه ، وهو رَهْنٌ بما ينشأ ويبرز من إمكانات جديدة ، وينطفئ أو يضمرُ من طاقات قديمة ، وبما يستجدّ من تغيّرات وظروف وحاجات... على أن يكون المقياس في كل تجدّد وتبدّل : الأمانة والقوّة ، والمصلحة العليا للإسلام والمسلمين ، وعلى أن يتم ذلك حسب قواعد وأصول وإجراءات متفق عليها ، وبالروح والأسلوب الإسلاميّ الأخلاقيّ الأخويّ الصحيح